الفكر العربي بين التجديد والتغيير

The Arabic verse between the new and the naughty

د .عائشة محمد حمد. محاضر بقسم الفلسفة . كلية الآداب .جامعة بنغازي

Dr:Aesha M Hamad: Lecturer, Department of Philosophy. college of Literature. Benghazi University.
Email: aisha.elamrouni@uob.edu.ly

تاريخ تسليم البحث 2022 / 2 / 12 تاريخ قبول البحث 2022 / 3 / 22

الملخص: تروم هذه المقالة إلى التعرف على طبيعة الفكر العربي ومدى تأثيره و تأثره بقضايا العصر الحديث .وبيان مدى التجديد والتغيير الذي طرا على الفكر العربي كما تروم هذه المقالة بيان أهمية إجراء مثل هذه الدراسة على الفكر العربي كما وتحاول هذه المقالة إن تسلط الضوء على منهجية الفكر العربي قديماً وحديثاً في ضوء العوامل الإيجابية والسلبية التي قد تساعد على فعالية العقل العربي

الكلمـــات الداله: الفكر العربي - التجديد - التغيير.

Abstract:

This article aims to identify the nature of Arab thought and the extent of its influence and influence on the issues of the modern era. And to show the extent of renewal and change that has occurred in the Arab thought. This article also aims to show the importance of conducting such a study on the Arab thought. This article also attempts

to shed light on the methodology of Arab thought, old and new, in light of the positive and negative factors that may help the effectiveness of the Arab mind.

Keywords: Arab thought. - Renewal. - Change .

المقدمة : تطرح فكرتا التجديد والتغير إشكالية * واضحة في فهمنا لكل الموضوعات القابلة للدراسة ، بشكل اكاديمي وبشكل اجتماعي ، واعنى بذلك توظيف الفكر أيّا كان بغرض الاستفادة منه في احداث تغيير ما .

وأفكار التجديد والتغيير تظل مطروحة في كل مرة حين نجد انفسنا حيال مازق ما ، أي في كل مرة نسأل فيها انفسنا أين نحن ؟ ما موقفنا من العالم الذي نحيا وسطه ؟ أو أين موقعنا من عالم عاش فيه أباءنا واجدادنا ؟ وما هو موقعنا من الفكر ؟ أو هل نعيش الإشكالية عينها التي عاشها الفكر قبل عشرات أو مئات السنين ، وبالتالي فائنا لا نطرح على انفسنا إلا أسئلة مأساوية الطابع ، ففي طرحنا لها من الأساس ، اعتقاد بوجود استمرارية نعلم يقيناً اننا لا نعيشها ونحن نرى أن الفكر العربي لم يستطيع أن يقدم اجابته المغاير، ليس لأن العقل العربي قائما على تمايزات ثابتة لا يمكن تغييرها ، يستمد أصولها من سمتها الخصوصية الملتصقة بالتكوين العقائدي والاجتماعي العربي ولا لأن الفكر العربي قد هجر أصوله الروحية الثابتة المتعلقة بالدين والعقيدة كما يدعى السلفيون ، فالفكر العربي ليس هو العقل وحده وليس هو العقيدة وحدها ، بل هو كما يقول الجابري ، في كتابة تكوين العقل العربي "هو نتيجة الاحتكاك مع المحيط الذي يتعامل معه أي المحيط الثقافي والاجتماعي خاصة) " محمد عابد الجابري1999م .(1).

ونظـــراً لأهمية دراسة الفكر العربي فقد ارتأيت أن يكون موضوع مقالي العلمي هذا بعنوان الفكر العربي بين التجديد والتغير حيث تعرضت فيه لأهمية دراسة فكرتي التجديد والتغير وقد انتظمت المقالة في المحورين الآتييـــن :

- تعريف مصطلحي التجديد والتغير.

- موقف الفكر العربي من التجديد والتغير.

أهمية الدراسة: تعتبر هذا الدراسة ذا ت أهمية علمية حيث إن النتائج التي سيتم التوصل إليها يمكن الاستفادة منها في مجال الفكر العربي كما أنها تساهم في تعميق الفهم بموضوعات ومجالات الدراسة من خلال اظهار الأفكار الفلسفية للفكر العربي ومدى تطوره وملائمته ومواكبة للعصر الحديث والمعاصر.

إشكالية الدراسة

تعالج الدراسة مفهوم الفكر العربي ومدى تأثيره وتأثير بالأفكار الأخرى وتحاول الدراسة أن يجيب على التساؤلات الآتيـة :

- تشكيل الفكر العربي ومدى استجابته لتحديات العصر.

- ما علاقة الفكر العربي بالتجديد والتغيير.

أهداف الدراسة :

- التركيز على مفهوم التجديد و التغيير من خلال أطروحة الفكر العربي وإبراز مدى تأثير وتأثر الفكر العربي بهذين المصطلحين.

- محاولة لدراسة الفكر العربي وتسليط الضوء على الفكر العربي ومكوناته وهذا يعتبر اثراء للمكتبة العلمية.

منهج الدراسة:

تستخدم الدراسة المنهج التحليلي النقدي.

الإطار النظري

مفهوم التجديد :- ان المدخل الى تجديد الفكر يبدا من المفاهيم والقضايا والمقدمات النظرية والمنظومات المعرفية التي ساهمت في تشكيل البنى الفكرية ،والبنى الاجتماعية، واشكال الوعي .لكن هذا لم يأخذ مساره الطبيعي نتيجة انحرافات سياسية واجتماعية ودينية اعاقت التطور الفكري وحرمت المجتمعات العربية من تشكيل مناخ مناسب لنمو الابداع الفكري

تجديد الفكر العربي شرط رئيسي لتطور العرب وهذا التجديد يجب أن ينطلق من نقد (اللغة – الدين – الثقافة – التراث)فالنقد حتى يكون جذرياً يحتاج إلى تحليل وتفكيك الأسس التي يتم عليها بناء أشكال الوعي السائدة، والبنية الذهنية والمعرفية التي تتحكم في الفكر وتؤسس للممارسة النظرية، والنقد الفكري بهذا المعنى يجب أن يكون بمثابة نقض للمنهجية المعرفية التي تأسست على الحتمية التاريخية والمفاهيم ذات الدلالات المطلقة، التي كان لها الدور الاساس في تحنيط الفكر في المذهبية واللاتاريخية .ان نقد مقدمات الفكر ومدلولاته اللغوية يشكلان مدخلا لكل نقد فكري، يخلخل الأسس التي تقوم عليها أنظمة القمع، ويشكل بوابة عبور إلي تأسيس فكر جديد قادر على حمل مفاهيم التجديد والتغيير والتعبير عنها في سياق التطور المتسارع، ومنفتح على آفاق حركة تطور التاريخ وهذا يحتاج إلى تغيير جذري للبنية النسقية للفكر وإلى تجديد الفكر في سياق الحركة المفتوحة على التطور التاريخي. أن مهمه التجديد هذه تطرح علينا ضرورة تمثل الوعى التاريخي وعدم الخوف من طرح العامل الأيديولوجي لأنا استبطان أي مشروع ثقافي ومجتمعي يتطلب نقد التفكير الغربي المهيمن ورفض كابوس التراث في أن واحد..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما موقف الفكر العربي المعاصر من التجديد و التغيير ؟ ولكن قبل الخوض في هذا الموضوع لابد لنا أن نعرف المعنى اللغوي لكلمتي التجديد والتغيير فالتجديد مظهر من مظاهر نزوع الإنسان نحو الأفضل، وميل حيوي إلى التخلّص من الركون والاستنقاع (انظر احمد بن عبد الرحمن).

ويمثل مفهوم التجديد الوحدة الأساسيّة لكلِّ نظامٍ معرفي ومنظومةٍ فكريّة، والتي من شأنها التعبير عن نظريّةٍ أو موقف أو أحد جوانب الفكر المستقيم .ينشأ هذا المفهوم نتيجةً للدوافع النفسيّة وآليّات التفكير والتوجّه العقلي، إضافةً لمقتضيات وحاجيّات

وظروف البيئةِ الخارجيّة .يمثل مفهوم التجديد أحد المفاهيم التي تتردد بكثرة في الفكر المعاصر العربي والإسلامي، إضافةً إلى الفكر الحديث والفكر الغربي، وذلك منذ قرنين من الزمان وتحديداً بعد بروز العديد من المفاهيم كمفهوم الإصلاح والنهضة والثورة والتغيير.. الخ، وتظهر العديد من تلك المفاهيم وتختفي وفقاً للظروف الاجتماعيّة والتيارات الفكريّة السائدة، إضافةً إلى أنظمة الحكم السياسي في المجتمعات والصراعات الدائرة . اهتمّت الدراسات والأبحاث منذ القدم بأسس وشروط بناء مفهوم التجديد، وتكمن أهميّة بناء هذا المفهوم في أهميّة البناء والإنتاج المعرفي بشكلٍ عام، حيث إنّ المعرفة هي الغاية القصوى للمساعي البشريّة والمسار الطبيعي لوجودها، وقد ارتبطت بهذه المعرفة جميع الأبحاث العلميّة والفلسفيّة وغيرها على مر التاريخ.

مفهوم التجديد في العلم والفلسفة

-:تأخذ الأبحاث في مجالي الفكر والفلسفة على مرّ العصور شكل التجديد الإبستيمي – النظام المعرفي عند كانط وتعني الطريقة أو المنهج المتبع لمعرفة واكتساب الحقيقة بعيداً عن الخرافات – لعددٍ من التصوّرات والمفاهيم منذ بداية الشروع في عمل البحث، وذلك عن طريق تأسيسه وتأصيله للمسار، ثمّ ضبط وتحديد مجال الموضوع والغاية والمنهج، يليه البيان للمضمون من خلال توضيح معالمه، والعمل على تجنب الخلط في المفاهيم في سبيل تفادي الغموض لدى الدارس أو الباحث .يوجد لكل منهج من مناهج البحث أو الدراسة في أيّ حقلٍ من الحقول - سواء كانت نظريّة أو تطبيقيّة أو كلاهما معاً - بناء مفاهيمي إبستيمي، فالبعض من مكوناته يعتبر أساسيّاً و تعتبر فلسفة التجديد والإصلاح عند البعض مبنيّةً على أساس المفاهيم الإبستيميّة، بحيث تتمحور حول تجديد الفكر الديني وإصلاحه, والتجديد يعني استبدال شيء قديم وإنشاء آخر جديد، والتجديد هذا إما أن يكون مادياً كتجديد المسكن والملبس، أو معنوياً كتجديد طرق التعليم أو المنهج الفكري .ويعتبر التجديد مذموماً في المجتمعات شديدة التعلّق بعاداتها وتقاليدها كالمجتمعات الزراعيّة، ويعتبر محموداً في المجتمعات التي تقدّس روح الابتكار والاختراع كالمجتمعات الصناعيّة .أما]جميل صليبا فإنه يعرّف التجديد على أنه انشاء شيء جديد، أو تبديل شيء قديم، قد يكون هذا الشيء ماديّاً - كالهاتف والطائرة والمذياع والتلفاز - أو معنويّاً – كالعلوم والأبحاث والمناهج العقليّة – وهذا التجديد غير مرتبط بالإنتاجات الماديّة والفكريّة، وإنما تبديل الشيء القديم الذي وجب استبداله . (جميل: 1971،ص311)

أما في اللغة العربيّة فالتجديد يكون بالأفكار أو الأشياء .والتجديد اصطلاحاً هو عبارة عن الفاعليّة الإنسانيّة التي مصدرها الفرد والمجتمع، ويقوم التجديد على مبارحة وضع الخمول والجمود والثبات، والسعي إلى النماء والنمو والتغيير الفكري والعملي، إضافةً إلى استخدام جميع الوسائل المتاحة في شتّى مجالات الحياة.

قبل التطرق لمفهوم التغيير يجب أن نوضح أولاً أن التغيير هو اسم مشتق من الفعل الثلاثي غير ،و التي تعني بدل ،و يقصد بالتغيير بأنه احدى العمليات التي ينتج عنها مجموعة من التطورات ،و الأحداث الجديدة ،و كذلك يعتبر التغيير عدة عوامل تؤثر على شيء ما أو أمر ما فتنقله إلى وضع أكثر تطورا ،و تقدماً و بالطبع الإنسان بحاجة إلى التغيير دائماً ،و ذلك لأن الاعتياد على أمر ما ،و تكراره ربما يزيد من شعوره بالملل ،و يجعله لا يواكب التطورات التي تحدث في وتعتبر عملية التغيير من العمليات المستمرة سواء ان كانت هذه العملية اعتمد خلالها الشخص على تخطيط مسبق أم لا.

ويجب أن يشمل التغيير كافة المجالات ، و لا يقتصر على مجال واحد فقط أو جانب واحد ويوجد مجموعة مميزة من أنواع التغيير تمتاز بكونها تؤثر تأثيراً قوياً في حياة الأفراد و المجتمعات ، و من أبرزها ما يلي :

أولاً :التغيير المخطط : يسمي التغيير المخطط بذلك الاسم لأنه يعتمد على التخطيط HYPERLINK "https://www.almrsal.com/post/403749"بمعنى أن يضع الفرد خطة مسبقة على اساسها تغيير وضع ما و يبدأ الفرد الذي يسير وراء ذلك النمط من التغيير باتباع كافة الاجراءات ، و الخطوات الخاصة بذلك الخطة من أجل احداث التغيير بنجاح ، و الانتقال إلى الوضع المنشود بنجاح.

ثانياً : التغيير التدريجي: يعرف عن التغيير التدريجي بأنه يحدث عبر فترات محددة ويستفاد من التغيير الجذري تغيير التدريجي في إحداث تغييرات ذات نتائج دقيقة.

ثالثاً : التغيير الجذري: مفاجئ وعارض فهذا النوع من التغيير يتميز بكونه لا يحتاج فترة زمنية طويلة ، ويترك اثار واضحة ، و ينتشر هذا النوع من التغيير في المنظمات ، والمؤسسات التجارية.

رابعاً : التغيير الـدفاعي: يسهم هذا النوع من التغيير في التكييف مع وضع أو حدث ما و بالفعل نجد عدد كبير من المنظمات تعتمد على هذا التغيير في الدفاع عن مكونتها في السوق والسيطرة على وضع ما أو التخلص من طرف ما (هاجر:2016)

موقف الفكر العربي من التجديد والتغيير

يقول الجابري في هذا الصدد (اننا نعتقد أن الدعوة إلى تجديد الفكر العربي ستظل مجرد كلام فارغ مالم تستهدف أولا وقبل كل شيء كسر بنية العقل العربي المنحدر إلينا من مصدر الانحطاط ، و أول ما يجب كسره هو ثابتها البنيوي ، أن تجديد الفكر العربي يعنى احداث قطيعه ايستمولوجيه (Copure Epistemology) تامه مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط وامتددتها إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر) (محمد : 1981 م)

لكن قبل أن تحدث هذه القطيعة والتي يتحدث عنها الجابري لابد لنا أن نستعرض بعض العبر من الماضي انطلاقا من مقولة ( )أن الفكر هو البناء الفوقي الذي يترتب عن أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية) (جورج :1970)

من هذا المنطلق يتوجب علينا العودة إلى الفكر العربي في مراحلة الأولى وارتباطه بالفكر الغربي ، بداية من حركة الترجمة الأولى من اليونانية إلى العربية في عصر المأمون 198-218) هجري (ولا زلنا في فكرنا المعاصر نرتبط ارتباطا وثيقاً بإنجازات الفكر الغربي الذي يمثل لنا نسقا معرفيا للتفكير ، فلا زلنا نحيا على قوانين التفكير التي كشف عنها ارسطو ، Aristo 347 – 427)ق . م (ولازال الغرب المعاصر بإنجازاته متفوقا ابستمولوجيا على فكرنا الذي يجتر ويعيد نفس مقولاته المنطقية وتصوراته النظرية وطرائقه في التفكير ، ويصبح هذا التفوق الابستمولوجي* عائق Obstacles ((Epistemologyامام ابداعاتنا النظرية وورونا الفكرية، لذا ينبغي علينا اجتيازه ، وذلك بتمثيله واستيعابه وتجديده في نطاق إطاره التاريخي والاجتماعي .(حمد: 1969)

فمن المعروف (ان الفكر العربي في مجمله فكر لا تاريخي يفتقد إلى الحد الأدنى من الموضوعية ، لهذا كانت قراءته قراءة سلفيه تنزه الماضي وتقدسه وتستمد منه الحلول الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل) (محمد : 1999) أن تاريخنا المعرفي شهد قمعاً سلطوياً ضد أي فكر يخالف فكرها السلطوي الايديولوجي. بينما الطبيعي ان يكون الحوار العقلي مرتبط بالحرية الفكرية .ان الاعتقاد بامتلاك الحقيقة المعرفية المطلقة يشكل المدخل الرئيسي الى الاحادية القهرية التي كانت من سمات تاريخنا الثقافي والتي ولدت دائماً قامعي الحريات العامة والأساسية وبشكل خاص الحريات الفكرية، كونها تهدد من وجهة نظر الحكام أركان أنظمتها التي تأسست على الأحادية. فكانت هذه السلطات تجمع في سياق سيطرتها بين أدوات القوة القهرية، والأيديولوجية التي يدعم أركانها مثقفون ينحصر دورهم في الدفاع عن ممارسات السلطة في مصادرة الحريات وهدر دماء المفكرين المخالفين فكان الخوف والانسان متلازمان وتحديداً لمن حاول الاشتغال في حقل الإنتاج المعرفي فكان اشتغاله على وضع الحدود والضوابط الذاتية يطغى على إنتاجه الفكري تحاشياً لتأويلات السلطات وغضبها . فكان إنتاجه المعرفي يفتقر إلى العمق ويكتفي بالحدود الدنيا من النقد والتحليل وكان هذا من الأسباب التي جعلت المفكر العربي يقف على عتبة الإنتاج المعرفي دون تجاوزها فكان اغلب الإنتاج المعرفي نمطياً يدور في فلك التقليد والتبعية والمساهمة في رفع السلطة والمتسلط إلى حدود التقديس، وأيضاً بقيت تسيطر عليه آليات ومنهجيات الفكر الغربي فكان المفكر ينوس بين القديم المهيمن وعتبة الجديد الذي يحمله اقتحام اسراره نتائج كارثية .

دعونا هنا نتوقف عند الفكر العربي المعاصر، واعنى بذلك الفكر الذي ظهر فيما اطلق عليه عصر النهضة، والتسمية بحد ذاتها قد توحى بالانقطاع رغم أنها تحاول التخلص بلباقة مما يسمى بعصر الانحطاط.

واجه الفكر العربي الحديث منذ عصر النهضة التي بدأت في أواسط القرن التاسع عشر في أقل تقديـــر تحديات على مستويين أساسيين : خارجية تمثلت في طروحات الفكر الغربي عموما"، وحلوله المختلفة لمجمل جوانب الحياة، وما نتج عن ذلك من بنى عدّت نفسها نهائية، فضلا "عن خروجها من مساحتها الجغرافية – ألا وربة – وبالتالي تفاعلها مع الفكر العربي آنذاك ؛ وهكـذا ظهر لدينا تيار متغرب و له مفكروه ودعاته ومروجوه، فضلا "عن مكونات داخلية تمثلت على نحو واضح في بنى الفكر العربي الذاتية وهويته الثقافية، وعلاقاته بالموروث وبخاصة الموروث الإسلامي .وإذا كان من الصعب أن نتصور – على أية حال – أن ثمة خطوات أساسية ومهمة قد تحققت طوال (150) عاما "الماضية، فأن من الشطط أن) نحكم بالفشل في تحقيق نهضتنا بعد أكثر من قرن من وعينا بضرورتها وعملنا من أجلها (محمد : 1994 ، ص 131) لكن التساؤلات حول دور

الفكر العربي في حياتنا المعاصرة ما تزال قائمة، وكذلك العمل على معرفة ما يمكن تحقيقه بمنظور علمي يتناسب وتسراعات العصر تتركز الموضوعة الأولى في هذا المجال في صعوبة استقراء ألا نجاز العربي المعرفي الموزع والمختلف بين الأقطار العربية، وكذلك التخطيط لقيام منهجية علمية لتدقيق مستوى ألا نجاز وترابطاته ؛ في وقت أصبح العلم نفسه قوة إنتاجية خلاّقة تعمل على نهوض الأمم في عالم ما بعد الصناعة (فؤاد: 1990 ص 17) واصبحت تلك الإنجازات وسيلة مهمة في أعادة النظر بطريقة حل المشكلات التي تواجهها الجماعات والأفراد على حد سواء، وبالتالي فالتجديد يعد ضرورة قصوى لتأسيس رؤية ثقافية قائمة على المعــرفة الدقيقة والطاقة الخلاّقة للكشف عن مختلف ميادين الحياة (ناجي:1993 ،ص19)هنا يمكن القول أن ثمة وعياً مغايرا قد ظهر، وثمة علاقة جديدة قد برزت، وهي العلاقة مع الأخر الأمر الذي فرض تقييم هذه العلاقة بشكل من الاشكال، والراجح كما نعلم أن ثمة عدداً كبيراً من المفكرين، قد ذهب إلى حد التماهي مع الغير تاركاً كل خصوصية يتمتع بها بحيث لا يرى صورته المستقبلية الا بهذا الغير ذاهبا إلى حد المناداة بالانفصال عن جسم الأمه التي ينتمي إليها ليجد لأفكاره تربه تنمو من ضمنها وهنا بترز اشكاليه جديدة وهى العلاقة الجدلية بين الفكر العربي والفكر الغربي ، بمعنى آخر العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر فالأناء تتعبن على المستوى اللغوي في متكلم بعينه، أما الآخر فقد يتموضع في ذوات اخر فالتبادل بين الذوات الاخر والتفاعل بينها يهن وتشتد وأن بقى ما بقيت اطرافه وهكذا اثرت الانا التعرف على كنه الآخر، وقد تحاول السيطرة عليه بغيه تسخيره، ولتحقيق مقاصد بعينها وخلافا لفعل السيطرة قد يتخذ التسخير سبلا اكثره مراوغة كالأقناع البياني والتعاطف الجياش والإذعان المطلق فالأخر في حال تعينه لا يعدو أن يكون انا اخر تروم انجاز مهام مماثلة (نجيب: 1996م) كما نعلم أن التقدم الفكري الغربي كون فجوة واسعة أمام الفكر العربي، إلى جانب فجوة الثقافة، حيث رافق تطور الفكر الغربي تطورا "هائلا "في الاكتشافات الكبرى لقوانين الطبيعة والمجتمع الإنساني وبخاصة بعد ظهور انقلابي الميكانيك والكهرباء ..لقد كان لتلك الإنجازات أثرها في إعادة النظر في طريقة التفكير الإنسانية وتحولها من التأمل الذاتي، إلى إيلاء التأمل الموضوعي حقه من مساحة التكوين، مما سمح في أن يكون الإنسان مركزا "لمعرفة كونية .وهكذا فقد خضع العالم العربي ومنذ عام 1498 م لتقدمات التقانة التي أنجزت في أوربا، كما خضع بهذا القدر أو ذاك إلى طريقة التفكير الأوربية (انطوان :1999 ،ص 17) كما أحدثت رؤية الشمول في الفكر العربي إمكانية على التفاعل مع مختلف أشكال الفكر الإنساني دون أن ينتابه الخشية من الضياع او مسخ الهوية الخاصة به.

إذن يمكنني القول أن الفكر العربي منذ النصف الأول من القرن الماضي بدا يتحرك متقدماً ومتأخر في علاقته بالفكر الغربي ، فالتطورات الحضارية والثقافية والعلمية التي شهدها الغرب وبالتالي العالم جعلت الاخر أي الغرب حاضراً حضوراً قويا في حياتنا الثقافية والفكرية وهو حضور متواصل ليس في قبولنا له فقط ، بل في رفضنا له ايضاً هذه الوضعية القديمة الجديدة التي رافقت الفكر العربي منذ أول صدمة له غير قادر على إيجاد المخرج من هذا الثنائية المستعصية ، ولن يكون للبحث عن اليات لتجديد تصورات الفكر العربي من معنى الا إذا استطعنا تجاوز الرفض الكلي الذي يؤدي إلى الانغلاق والقبول الكلي الذى تدعو إليه جماعات التعريب فموقع الفكر العربي الان وفي وسط هيمنة الصورة الحالية للثقافة العالمية الطابع يزداد حراجاً ويزداد معه الالحاح للنظر في هذا الموضوع ، فالحاجة ملحه إلى تعديل ضروري في طرق المواجهة مع الاخر لأن الإصرار على تجاهل ما حصل وما يحصل والاستقواء خلف جدار الدفاع عن الذات والهوية سيؤدي إلى تشديد الممانعة ضد الجديد المعرفي.

إن الجدل الإنساني في تفاعلات الفكــر من أهم مميزات الفكر العربي على الرغم من الحملات التي تشن ضد العرب والإسلام من وقت لآخر، وما رافـق تلك اللقاءات الفكرية مع الفكر الأوربي من نتائج سلبية تمثلت في نقل بنى أفكار بعينها دون أجراء عملية نقد موضوعية لها أو الوقوف منها موقفا "انعزاليا ."وقد تركت تلك الحالة آثارها على ضعف إمكانية استيعاب الفكر العربي للفكر الغربي عموما "وانعكس هذا الوضع على طبيعة النظام المعرفي له، كما نتج في الوقت نفسه – بفعل ضعف آليات الاستيعاب عامة – تراجعا "أخرا "في فهم الموروث الماضوي العربي نفسه، وما تطلبه من القيام بعملية نقد شاملة لمختلف الوحدات المكونة له من خلال الرجوع إلى الأصول العربية الإسلامية ومحاولة إعادة ترتيبها بفكر متفتح السؤال المهم في هذا المجال هو كيف نتعامل مع هذا التراث ؟

وهل يحتوينا حتى يصبح مركزا "لبنى تفكيرنا المعاصر؟ أم نحن الذين نحتويه ونجعل منه قوة دافعة لكشف تناقضات الحاضر الممتد عبر الماضي؟ .لاشك بان وضع مناهج محددة لتقييم موروثنا الحضاري هو حالة تسبق أي جهد نظري آخر، فأن عملية التدوين التي أنجزت في العصر العباسي الأول لم تكن في مخرجاتها الأساسية توثيقا "للفكر العربي الإسلامي وحسب، بل كانت عملية تجديد وإعادة إنتاج في الوقت نفسه، تعتمد حدود الاستيعاب على إمكانية التكيف للصدمة، ومن ثم توليد مفاهيم عنها ؛

لكنها لم تكن على العموم استجابة بدأت منذ ظهور المشروع النهضوي العربي في القرن التاسع عشر، بل هي حالة بقيت مستمرة عقودا "عديدة، وما تزال آثارها فاعله و قائمه .أما الفكر العربي فقد بقي متحصنا "في الموروث، ولا يزال يتخذ موقف المتلقي غالبا "دون أن يحضّر إلى التغيير والتجديد ويكمن الوضع الأساس في ضعف الإمكان على الاستيعاب في استمرار سلطة اللفظ وأشاعها على نحو يقوض المعاني ويوسع من دائرة التأويل إلى أقصى حد (محمد :1996 ،ص 564)

واستطاع الفكر العربي الإسلامي – وفي مدة زمنية قياسية – أن ينشئ نظاما "معرفيا "للمعرفات القادمة من الفكر اليوناني بخاصة، فعكف العلماء المسلمون على اختلاف مدارسهم على تقديم شروحات وتحقيقات لعموم الفلسفة اليونانية، ومن الملاحظ أن تلك العملية كانت تحضي بدعم من الدولة آنذاك .ثم تجلّى ذلك في افضل صوره زمن الخليفة العباسي المأمون ..وهكذا استطاع الفكر العربي الإسلامي أن يحتوي الصدمة في وضع جديد .إما الفكر العربي المعاصر فما يزال أمامه الطريق صعبا "وطويلا " ونحن ندخل القرن الواحد والعشرين، ففي وقت تستخدم فيه ثقافتنا مفاهيم كالحداثة والعلمانية والعولمة والظاهراتية والبنيوية..الخ على إنها معرفات منتهية، تبقى من وجهة نظرنا لا معرفات مالم يكشف عن أنظمتها المعرفية ومرجعياتها . ولذلك فان وضع قواميس -مرجعية – معاصرة يعد ضرورة قائمة .

وتتمظهر المشكلة على نحو اعقد في التخطيط لثقافة الماضي، فرغ الجهود الكبرى التي بذلها العلماء العرب المسلمين في ميادين الشروح وكتب الفرق وابواب العلوم ؛ إلا إن جهدا "إضافيا "ما يزال يترتب على الثقافة والفكر العربيين المعاصرين، ولا يتعلق الأمر في تنظيم المرجعيات ووضع البنى الفكرية والكشف عن أنظمة المعرفة فحسب، بل يوجب أيضا "التدقيق في مناهج الاستشراق واحكامه المتعلقة بالفعل العربي ودوره في الحضارة الإنسانية (سعيد، إدوارد:1981م ص 287) ان تداعي التجديد والتغيير لا يتأتى من اهتزاز اليقين وحده، إذ إن شيوع الفوضى المعرفية في الفكر العربي المعاصر حتى أواخر القرن العشرين، ونكوصه عن تحقيق مشروعه الحضاري، وضعف آلياته عموما "لا يتعلق بمدى معرفته بأنظمة البنى التي تواجهه في الحاضر وكذلك البنى الموروثة ؛ لكنه يتعلق على نحو أكثر خطورة في التخطيط لثقافة المستقبل التي تعد واحدا "من أهم المقترحات بنجاح الاستيعاب .فيلاحظ إن علاقة جدلية صحيحة بين محتوى الفكر العربي وقدرته على الاستيعاب وقابليته على إنتاج نماذج للنهوض الفكري والحضاري في المستقبل .فضلا "عن ذلك فأن جدلية الاستيعاب تفترض إنشاء قاعدة واسعة من)المبرهنات (التي تترشح في الأساس عن عملية تنظيم الفكر، فتكون منطلقا "يقينيا "يوسع من الاستيعاب وحدوده .ولعل بحوث اللغة وعلم التاريخ من اكثر العلوم استشعارا "لتلك العملية وذلك لمرونتها في تأطير الفكر فضلا "عن منحها هويته الذاتية .(عزيز:1983 ،ص 102)ولذلك فان الدراسات التاريخية لموروثنا الثقافي تعد ضرورة لفهم الأطر العامة للاستيعاب، فضلا "عن كشفها لمختلف العلاقات المعرفية الماضوية، ناهيك عن قدرتها في تشخيص وسائل التعامل مع البنى المختلفة في الموروث، كما انها تزودنا في الوقت نفسه بقدرة معلوماتية يمكن من خلالها البدء بعملية إعادة التدوين لمختلف البنى الفكرية في الموروث، ويقرب لنا منطق حلول مشكلات الحاضر .وعلى هذا الأساس فان إعادة كتابة التاريخ تعمل على توسيع دائرة المبرهنات على نحو فعال مما يؤدي إلى ترصيف اليقين العربي المعاصر وصولا "الى الخروج من المرحلة الشكيّة .

ناقشنا تداعي إمكانات التجديد للفكر العربي الحديث في القدرات الداخلية المتمثلة في ضرورة إقامة منظومة معرفية لقوى التجديد سواء في النظر لتحديات الفكر الغربي، أو في محاكمة موروثنا الثقافي .وكذلك أهمية اعتماد الرؤية العلمية في التحليل ودراسة النتائج .فإعادة التخطيط للمشروع النهضوي العربي لن يكون بدون أطر فكرية واضحة ومتكاملة .إن القوى الخارجية – الغربية بخاصة – بدأت تطرح مشروعها البديل مما وضع الفكر العربي أمام مأزق جديد في أهمية الاستيعاب العلمي والتقاني والثقافي، وقد لا نبالغ إذا ما حددنا إن المواجهة بين الفكر العربي والفكر الغربي ستكون مصيرية في العقود الأولى من القرن القادم، لأن الفجوة العلمية والتقنية ستكون ظاهرة تتسرب إلى مختلف شؤون الحياة لدى الإنسان العربي البسيط، وما لم ينهض الفكر العربي بالدور المناط به، فأن تساؤلات حول جدوى طروحاته خلال المائة والخمسين عاما " السابقة ستكون موضع شك ؛ وعندئذ سيكون الغزو الثقافي قد وصل شوطه النهائي .فهل من سبيل للحيلولة دون ذلك؟ لقد أن الأوان لأن يتموضع الفكر العربي في هذا العالم له ومعه فيساهم غي انتاج رؤي جديدة له وللعالم الذي يدعى العمل عليه والتأمل به ، و أن له أن ينتج تصورات جديدة تساهم في تشكيل البنى الذهنية وفق معطيات خصوصية لابد منها ، لكن يجب أن تكون منسجمة مع مناخ العصر و أن تعترف بالزمن الوضعي والظرفي المتغير وتعيد للوجود معناه الحقيقي.

أقول هذا وأنا على يقين اننا لم نسلم من الزلل والخطأ في محاولتنا المحددة هذه، ذلك لأننا تعيش اليوم في عصر التغيرات السريعة والتحولات العميقة في خضم المشكلات المعقدة والإمكانات المتضاربة.

الخاتمة

ان ما نشاهده اليوم في عالمنا العربي من صراع بين دعاة الفكر الديني السلف والمنتميين لنزعه معاداه العقل من ناحيه وأصحاب المنهج العقلي ودعاة تحرير الانسان العربي من سلطة الفكر الديني من ناحية آخري هذا الصراع يضعنا أمام إشكالية الفكري العربي وموقعه من التغيير والتجديد من هذه الزاوية تساءلنا عما يحدث للفكر العربي الذي يشهد تشكيكاً في قيمة التجديد أن مسألة علاقة الفكر العربي بالتجديد والتغيير وتقيم النهضة تتحدد بالبحث في الخيط الذي يحدد موقعنا نحن العرب من حركية تشكيل الفكر الحديث ومن التطور التاريخي الذي يميز الاحداث والتناقصات التي صاغت هذا الفكر، أن فكرنا المعاصر مازال يركن إلى القديم، ومازال يسوده الاتباع إذا لم نجد الطريق نحو الابداع، والابداع أي البديل الوحيد لفكرنا التراثي لا يكون إلا بالتعامل النضالي مع واقعنا الحاضر دون تناسى التراث طبعاً و دون التخلي عن الاتصال بالفكر العالمي أن السؤال الذي طرح في هذه الدراسة هو تشكل الفكر العربي المعاصر ومدى استجابته لتحديثات العصر وهنا يمكن القول أن هذه المسالة لا يمكن اختزالها في مصطلح الفكر العربي وما نشاء حوله من جدال ونقاش مازلنا نتخبط فيه دون نتيجة تذكر الامر يتعلق بفهمنا لدور الفكر العربي وقدرته على صياغة الحلول لما تعانيه من تحلف وتبعيه في عالم يتقدم بسرعه لا ترحم .

الهوامش العامة

*الإشكالية : هي منظومة من العلاقات التي ننسجها داخل فكر معين مشاكل عديدة مترابطة لا تتوفر إمكانية حلها منفرده

*القطيعة الابستمولوجية :هي القطيعة التي تحدث عن طريق العلم فتغيّر اتجاهه ومجراه تغييراً جذرياً من حيث مبادئه وقوانينه وأغراضه .وقد أورد هذه العبارة الفيلسوف الفرنسي" غاستون باشلار "ليشير إلى نقطة التحوّل التاريخية في حياة نظرية علمية معينة ، تصبح بعدها هذه النظرية باطِلة أو غير قادرة على تفسير كل ما يعترضها من ظواهر الواقع ، فيصبح من الضروري تأسيس نظرية أخرى أكثر إلماماً بالواقع .ومن أمثلة ذلك :القطيعة التي وسّعت من نطاق الهندسة الإقليدية بابتكار هندسات إقليدية طوّرت مفهوم الفضاء عموماً (انظر ، جلال الدين سعيد.معجم مصطلحات الفلسفة، ص155- 18)

*1لابستمولوجيا :يُعرِّف" أندريه لالاند "الابستمولوجيا" : تعني فلسفة العلوم ، ولكن بمعنى أكثر دقة : فهي ليست الدراسة الخاصة لشتى المناهج العلمية ، لأن موضوع هذه الدراسة هو علم مناهج البحث ، كما أنها ليست تأليفاً أو استباقاً حدسيّاً للقوانين العلمية .إنها أساساً ذلك المبحث الذي يُعالج معالجة نقدية مبادئ العلوم المختلفة وفروعها ونتائجها بهدف التوصل إلى إرساء أساسها المنطقي ، كما أنها تنشِد تحديد قيمة هذه العلوم ودرجة موضوعيتها . (انظر خليل احمد خليل،موسوعة لالاند الفلسفية ،ص19)

المراجع

- محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي ، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1999 م ص. 12.
- أحمد بن عبدالرحمن سالم نافذة لغوية : (216) مفهوم) التجديد (لغة واصطلاحا نشر موقع balkher1971 @Gmail . com
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي الجزء الاول، دار الكتاب اللبناني بيروت 1971م ص311
- هاجر.(2016) مفهوم التغيير وانوعه)المرسال https\\www.almrsal.com
- محمد عابد الجابري : نحن والتراث ، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ط 6 المركز الثقافي العربي بيروت 1981 م - ص.. 20
- جورج كتوره : الفكر العربي بين التواصل الانقطاع ، الفكر العربي ، ع – 70 معهد الالماء العربي بيروت 1992 ص 36
- احمد عبد الحليم عطية : الفلسفة الإسلامية والغربية والوسيطة ، مجله الفكر العربي ، ع 57. معهد الانماء العربي بيروت ، 1969 ، ص. 64
- محمد عابد الجابري : نحن والتراث ، مرجع سبق ذكره ، ص 17
- محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر) بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية– ط -3تشرين الثاني / نوفمبر – 1994ص .131.

- فؤاد مرسي، الرأسمالية تجدد نفسها) الكويت : المجلس الوطني للثقافة 1440 – هجرية – مارس/آذار (1990 ص.
- ناجي نعمان، العالم العربي على عتبة القرن الواحد والعشرين) لبنان : دار لقمان للثقافة، (1993 ص19
- نجيب الحصادي : جدليه الانا الاخر ، ط 1 الدار الدولية للنشر والتوزيع – القاهرة – 1996 ص. 7
- انطوان زحلان، العرب وتحديات العلم والتقانة – تقدم من دون تغيير) بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية – ط -1آذار / مارس 1999 ص.17
- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة – دراسة ومناقشات) بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية – ط -1تموز /يوليو 1991/ (ص.10)
- إدوارد سعيد، الاستشراف، نقلة إلى العربية : كمال أبو ديب) بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية – ط 1981 -1ص.287
- عزيز العظمة، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية – مقدمة في أصول صناعة التاريخ العربي) بيروت : دار الطليعة– ط - 1983ص10 – 102)
- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ،تونس، دار الجنوب (2010 ص155)
- اندرية لالاند:- موسوعة لالاند الفلسفية تعريب خليل احمد خليل واخرون ،بيروت منشورات عويدات،1993م